الآخر الحبشي فى كتابات الشيخ أحمد الحفني القنائي الأزهري سنة ١٩٠٣م

أ.د. أحمد عبد الدايم محمد حسين
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
كلية الدراسات الأفريقية العليا –جامعة القاهرة

فى الوقت الذى كثرت فيه الأقاويل هذه الايام حول انسداد الأفق فى الحوار المصرى الإثيوبى حول موضوع سد النهضة، وتوجيه الاتهامات حول سبب هذا التجميد، وغطرسة اثيوبيا فى هذا الباب، تأتى كتابات الشيخ أحمد الحفنىالقنائى حول الآخر الحبشفى بداية القرن العشرين، لتمثل نوعًا من المثاقفة والحوار مع هذا الآخر، ومحاولة مهمة لاستكشاف المشتركات معه،لتعطينا مثالًا لشيخ أزهرى تعامل مع الحبشة والاحباش بشكل ايجابى، ولفت نظرنا الى أوجه النقص فى ثقافة التعرف على المشتركات بيننا وبين الاخر، لتفادى المشاكل التى كانت مصدر القلق والمعاناة، ويعود الاصل فيها لعدم الفهم. لهذا يمكن القول بأن تاريخ الحبشة الذى كتبه الشيخ أحمد الحفنيالقنائىالأزهري سنة ١٩٠٣ تحت عنوان "الجواهر الحسان فيما جاء عن الله والرسول وعلماء التاريخ فى الحبشان"، والذى قدم له شيخان من شيوخ الأزهر الشريف، هما الشيخ سليم البشريوالشيخ حسونة النواوي، وأشاد به خطباء ورجال تعليم أزهريين، مثل الشيخ حسن السقاء ومحمد أفندي غنيم واسماعيل بك رأفت واسماعيل على،يعد مساهمة متميزة فى فهم تاريخ الأخر الحبشي، وقراءة واعية فى أحداث الحبشة السياسية المعاصرة للمؤلف. ولعل النظر للمصادر التى رجع لها الشيخ الحفني، وشهود العيان الذين أخذ منهم، واستنتاجاته المهمة التى توصل لها، ليقول بأننا أمام مؤرخ مثقف وشيخ مدقق فى مجاله، وقارئ جيد لتاريخ الآخر الدينى. بل إن محاولته ربط الماضيالأثيوبي بالحاضر الحبشيفى عهد منليكالثانى، وقت تأليف الكتاب، ليؤكد أننا أمام مؤرخ مبرز وعى تاريخ الأخر الحبشى، واقتفى آثاره السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، فهضم ما قرأ، فانتج لنا كتابًا متميزًا ووثيقة تاريخيةتستحق منأن نفرد لها دراسة خاصة، لنتعرف على منهجيتهفى الطرح، وأسلوبه فى الكتابة، وموضوعات الآخرالتى تناولها ومناقشاته لها.

ترى ما الذى دفع الشيخ أحمد الحفنىالقنائى لأن يؤلف كتابا عن الآخر الحبشفى هذا التوقيت سنة 1903؟ وما الهدف من وراء طرحه حينها؟ وما قيمة التاريخ الذى كتبه الرجل عن الآخر الحبشوإضافاته؟ وفى هذا

السياق تهدف الدراسة إلى أمرين: أولهما، الوقوف على منهج الشيخ الحفنالقنائى وطريقة كتابته عن الآخر. ثانيهما، التعرف على طبيعة الآخر الذى كتبه الشيخ الحفنى ومناقشاته، وهل هو آخر قريب أم أخر بعيد؟. ولهذا تم تقسيم الموضوع الى خمسة عناصر رئيسية:

العنصر الأول– التعريف بالشيخ أحمد الحفنالقنائىالأزهرى وكتابه الجواهر الحسان.

العنصر الثانى– محتويات كتاب الشيخ الحفنى وطبيعة الآخر فيها.

العنصر الثالث– مصادر الكتاب ومنهجيته حول الآخر الحبشي.

العنصر الرابع– أسلوب الكتاب حول الآخر وجمالياته.

العنصر الخامس– تقييم مساهمة الشيخ الحفنيالقنائىحول الآخر الحبشي وأثرها.

العنصر الأول– التعريف بالشيخ أحمد الحفنالقنائىالأزهرى وكتابه الجواهر الحسان:–

لنتعرف على هذا العنصر جيدا سيتم تقسيمه الى قسمين: **الأول، قسم يتعلق بالتعريف بالشيخ احمد الحفني.** وفى هذا السياق نقول بأن مؤلفناهو الشيخ أحمد الحفنى بن محمد كرام القنائيالأزهري.وهو من صعيد مصر ومن مديرية قنا تحديدا،وهو خطيب بالجامع الازهر. وله غير الكتاب الذى بين أيدينا كتاب آخر اسمه "سواطع الأنوار في خلاصة ما جاء في هجرتي الصحابة إلى أرض الحبش وما يتعلق بأهلها من الآيات والاحاديث والآثار[1]. ورغم أن أحد الباحثين ذكر عن هذا الكتاب بأنالرجل قد تحدثفى موضوع الهجرة الى الحبشة، وأنه اهتم بالسردالتاريخى وناقش بعض قضايا الهجرة، مثبتا اسلام النجاشى الذى انكره بعض المستشرقين[2]، إلا أن هذا الكتاب يشكل مع كتاب الجواهر الحسان فى تاريخ الحبشان حصيلة فكرية وتاريخية يدللان على أن الشيخ الحفنى كان مهتما بتاريخ الحبشة والأحباش، وأن منظوره الدينجاء منعكسا على كتاباته ومؤلفاته. على اعتبار أن الرجل هو نموذج لشيخ ازهرى ارتحل لاسطنبول عام 1894 ليجمع الكثير حول الحبشة من كتابات. نوع فيها مصادره، ونطق بلسان حال الفقيه الذى يشرع للناس، لكنه كتب بلسان حال المؤرخ المهتم بالتفاصيل

والناس وعنصر الزمن. ورغم شح المصادر التى استند لها، وقلة الاخبار الواردة عن الحبشة فى ذلك، إلا أنه استطاع أن يدون سفرًا للحبشة، يقدم فيه صورة واضحة عن الاحباش بشتى صنوفهم وألوانهم ودياناتهم وعقائدهم. غير أن المدهش فى كتابات الشيخ الحفنفى أنه يمثل خطاب السلم والمحبة، حيث استطاع من خلالهاأن يبدل الصورة النمطية الموجودة حول الحبشة، بحث فيها عن نقاط الالتقاء والتكامل والتعامل مع الآخر، وتكلم عن التعايش والاحترام والكرامة الانسانية.

الثانى، قسم يختص بكتاب الجواهر الحسان بما جاء عن الله والرسول وعلماء التاريخ في الحبشان، وهو الكتاب الذى نشرته مطبعة بولاق سنة 1903[3].وجاء تحت عنوان الجواهر الحسان فيما جاء عن الله والرسول وعلماء التاريخ في الحبشان. وقد مثل منذ صدوره بؤرة اهتمام الباحثين والأساتذة المنشغلين بالدراسات والبحوث التاريخية؛ وتم تصنيفه ضمن نطاق تخصص علوم التاريخ والفروع قريبة الصلة من الجغرافيا والآثار والتاريخ الاجتماعي وغيرها من التخصصات الاجتماعية. والنسخة التى سوف نعتمد عليها فى هذه الدراسة هى تلك التى اهداها المؤلف نفسه الى محمد بيك شوكت، حكمدار مديرية البحيرة فى 24 يونيو 1904، اى بعد اصداره بعام. وكتاب الشيخ احمد الحفنى قرظه ومدحه شيخ الازهر، الشيخ سليم البشرى المالكى بكلمات قوية تدلل على جهد الشيخ الحفنفى تأليف الكتاب، فاعتبره كنزا أودع فيه من النفائس التعريف بالحبشة ما لم يسبق له فى بابه بمثيل وسفر كبير، مشيدا بمؤلفه، وأنه مفخره عصره. ومدحه الشيخ حسونة النواوىالحنفى شيخ الأزهر بقوله، بأنه وجده صحيح المبنى جزيل المعنى كافيا فى بابه، مفيدا للواقفين على فصوله وابوابه، وأنه بذل فيه جهدا كبيرا. وقرظه أيضا الشيخ حسن السقا الشافعى بكلمات جميلة بدأها مدحا فى علم التاريخ، وأنه من اجل العلوم قدرا واسماها بين الانام ذكرا، متطرقا لمن كتبوا سابقا فى هذا العلم، وأن الشيخ الحفنىالقنائى نزيل المدينة المنورة وخطيب الجامع الازهر الشريف سار على نهجهم، وانه جمع فيه ما جاء فى الأحباش من الآيات القرآنية، وما ورد فيهم من الاخبار النبوية، وأن الكتاب عبارة عن روضة يانعة وحديقة لأنواع الازهار جامعة. وبعد هؤلاء كتب فيه مدحا محمد افندى غنيم، مدرس التاريخ بالمدارس الاميرية والجامع الازهر، فقال بأن صاحب الكتاب ذكى المعى، وانه رحالة زمانه ونسابة أوانه، وأنه جمع كتابا جمع من الفرائد أغلاها، ومن الفوائد انفعها وأسماها، وأنه كشف كثير من المخبئات، وأظهر جملة من المجهولات. وراح محمد بيك رأفت مدرس التاريخ بالمدارس الأميرية والجامع الازهر، يشيد بالكتاب وصاحبه، وانه وجده من انفس الكتب فى

التأليف باللغة العربيةعن الحبشة واممها، خاصة وأن ما الف عن الحبشة قديما، وعلى قلته، إلا أنه صار لا يعتمد عليه فى فترة المؤلف لقدم عهده، واختلاف ما ورد فيه من أسماء المدن والامم والبقاع، وأنه كتاب يهم المجتمع الاسلامى والمشتغلين بالتاريخ. وذهب اسماعيل افندى على، مدرس تقويم البلدان بالجامع الازهر الشريف، بأنه أحسن ما الف فى بابه، حيث تحرى فيه صاحبه صحة الأخبار، وأنه أظهر فيه مسائل كانت خافية عن الانظار[4]. مما يدل على الصدى الكبير الذى لقيه الكتاب عند اصداره. حيث كانت سنة اصدارة هى سنة 1903 اى بعد عقد معاهدة 1902 بين بريطانيا والحبشة، وكانت صيغة التوافق بين مصر والحبشة قائمة وموجودة بحكم الرعاية البريطانية لهذه الاتفاقية، وقيامها بتأمين مياه النيل الى مصر وعدم بناء اى سدود على النيل الازرق إلا بعد الرجوع الى بريطانيا الدولة المتحدثة باسم مصر والسودان حينها[5].

وحينما صدر الكتاب حظى باهتمام كبير ،بل احتفت به المطبعة فى ختام الكتاب بقولها بانه تم طبع الكتاب فى عهد عباس حلمىالثانى،وفى المطبعة الاميرية ببولاق فى أواسط ربيع الثانى سنة 1321هجرية، وأن المؤلف باشر بنفسه مراجعته مع المطبعة، وأنه جاء فيه بما للحبشة من الفضائل والآداب، وقص فيه نبأ سلفهم الصالح الذين هداهم الله الى الصواب[6].ولا زال يحظى بنفس الاهتمام، ولو نظرنا لحجم الاستشهادات لكل من كتب عن تاريخ الاسلام فى الحبشة، لوجدنا هذا المؤلف يحظى بمكانة كبيرة فى هذا المقام. فضلا عن وجود استشهادات كثيرة من قبل مؤلفين كثر فى موضوعات التاريخ الحديث للحبشة،فعلى سبيل المثال ذكره الشيخ جمال الدين الشامى بالاسم،فكان يقول، عبر كتابه،قال الحفنفى تاريخه عن ذكر الحبشة[7]. وذكره بولس مسعد فى كتابه واستشهد منه[8].وكذلك كتب عنه خيرالدين الزركللى[9]. واعتمدت عليه كتب كثيرة اخرى[10]. وكتب عنه صاحب معجم المطبوعات العربية عام 1928. وهذا يعنى أن الكتاب كان من ضمن المصنفات التى كانت موجودة لدى الخاصة والنخبة الثقافية فى ذلك الوقت[11]. وتم تسجيله من قبل فى جامع التصانيف المصرية الحديثة[12].

العنصر الثانى– محتويات كتاب الشيخ الحفنى وطبيعة الأخر فيها:–.

من المعروف أن مفهوم الآخر نسبي ومطاط، وهو عند الشيخ الحفنى مميز بنوعين من الاخر: الأول الاخر القريب، وهم مسلمى الحبشة فى داخل اثيوبيا وفى الجزيرة العربية، الثانى، الآخر البعيد، وهو الآخر المخالف

فى الدين.ومن خلال الكتاب نرى الرجل قد حث على الانفتاحعلى العالم، وتجسّيد الهُويّة الدينية التى تركزت حول ثنائية: المسلم والكافر، في مقابلثنائية العربي والعجمي. وفى هذا السياق فإن الكتاب عبارة عن أكثر من 320 صفحة،جمع فيها من صور التسامح تجاه الاحباش الكثير. وحشد فيها مدى تعامل المسلمين مع الآخر الدينى، وصور لنا فيها رؤية هامة وشاملة عن هذا الآخر، كذبت رؤية الرحالة والمستكشفين، ودحضت النظرة الايديولوجية السائدة فى ذلك الوقت، حيث انعكست فيه روح المؤرخ المثقف والفقيه. فقد أوجد لنا من خلالها مكامن الخلل، ووطن فيها لمساحات الاتفاق، ومكن لأدوات التفاهم ومقتضيات الحياة الانسانية والتواصل بين العرب والاحباش من ناحية، وبين مصر والحبشة من ناحية أحرى. حيث قال بشكل غير مباشر بأن ثقافة التعايش بين العناصر الحبشية قد لعبت الدور الابرزفى الشكل السياسى للدولة،وأعطت الضوء الأخضر لسياسة الاستيعاب. تحدث فيه المؤلف عن التعايش الثقافى بين المسلمين وغيرهم داخل الحبشة، وعن الصراعات الناتجة من طبيعة الخوف الموجودة هناك. وبنظرة أولية للكتاب نجده محرضا على تفعيل القيم الانسانية والثقافة المنفتحة على الاخر. وبالنظر لفهارسه نجدهافى 10 صفحات، من صفحة 6 الى صفحة 16، بدأها بخطبة الكتاب وسبب تأليفه. ثم تحدث عن مصادر الكتاب، وسفره لدار السعادة للحصول على بعض مصادره. ثم راح يعرف بالحبشة، وتحديد قدماء المصريين ومؤرخى اليونان والافرنج لها، معرفا بأنهارها وأمطارها وحيواناتها ومعادنها وصادراتها وخطوطها التليفونية والتلغرافية ولغاتها وشعوبها المسيحية والاسلامية واليهودية، وتطرق لأمرائها وحكامها وجيشها وأسلحتها وماليتها وسياستها، وما كان تابعًا للحكومة المصرية من أقاليمها. واستعرض مدنها واقاليمها وسكانها وعلاقاتها القديمة مع مصر واليونان والرومان. وتطرق بعدها لتاريخ دخول المسيحية وعدم قبول مذهب اريوس بها، وزمن انحيازها الى مذهب اصحاب الطبيعة. ثم عرض لتاريخ دخول الاسلام بها وهجرة الصحابة الاولى لها، واسلام نجاشيها، وتاريخ ظهور أول خارجي زمن الخليفة المنصور بالحبشة، وتاريخ استيلاء فرع قرشى على بعض اقاليمها. بعدها دخل فى علاقتها بالبرتغاليين واستيلاء العثمانيين على شواطئها، واستيلاء تيودور على نجاشيتها، والحملة الانجليزية عليها، ومحاربة الحكومة المصرية لها، واستيلاء ايطاليا على جزء من اقاليمها، وعلاقات ايطاليا معها وحربها مع الاحباش. ثم تطرق بعدها الى ما جاء فى الآيات القرآنية والاحاديث النبوية عن الحبشة، وبعض الاخطاء التاريخية التى وردت فى حقهم، وما بين لغتهم والعربية من القرابة، متحدثا عن كتب النبى صلى الله عليه وسلم اليهم، واسماء الصحابة والتابعين منهم، واسماء الاعيان الذين كانت امهاتهم منهم، واصحاب الاخدود والنبى لقمان، مركزا على الفترة الاسلامية وترجمات

للكثيرين منهم، وترجمات للمهاجرين والمهاجرات وابنائهم من الصحابة، ومن ولد ومن مات بارض الحبشة[13].وهناك ثلاث أخطاء تاريخية وقع فيها الشيخ الحفنى: أولها، أن الحبشة لم تكن يوما لها شواطئ على البحر الاحمر كونها دولة حبيسة بالأساس[14]، حيث أحاطت بها ممالك الطراز الاسلامى احاطة السوار بالمعصم[15] ثانيها، أن ايطاليا سيطرت على جزء من اقاليمها، فهذا أمر كان متفق عليه، فقد حصلت مقابل ذلك على قطاع كبير فى الجنوب من أرض الصومال. ثالثها، عدم الترتيب الزمنى للأحداث التاريخية، خصوصا وانه فى القسم الاول قد وصل فيها الى سنة 1903 لكنه بعدها رجع مرة اخرى ليهتم بفترة التاريخ الاسلامىفى غالبية صفحات الكتاب.

والكتاب مقسم الى مقدمة وثمانية أبواب، يشرح فى مقدمته أصل الحبش، وانهم فروع من اصلين: الاول يقرب من الجنس العربى. والثانى يقرب من الجنس السودانى. مشيرا بأن أصحاب الجنس الأول أجمل شكلا وأحسن هيئة وخلقة، ويقطنون بجوار بحيرة تسانا، ومنهم يهود الفلاشاوالفرنانة الوثنيين. أما اصحاب الأصل الثانىفانوفهم أقل دقة من السابقين، مع فطس قليل وشعر مفلفل، ومعظمهم سكان حماسين وفى الشمال الحبشى، موردا مقارنة البارون " لرى" بين الزنجىوالحبشى، متحدثًا عن نسبهم وطبيعة بلادهم وعلاقتها مع مصر واليونان والرومان وجغرافيتها ونباتها ومحاصيلها وحيواناتها. وقد اوجز فى مقدمته التاريخية مشيرا "بانه وليكن اخر ما أردت ايراده فى هذا المقدمة من المسائل التاريخية المتعلقة بهذه البلاد على وجه الايجاز والحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده"[16].

ولعل ذكر الحفنى لما عرضه تقويم البلدان سنة 1903 يعنى أن معلوماته كانت معاصرة لسنة التأليف، حيث تحدث عن الشركة الفرنسية التى تولت أعمال بناء خط السكة الحديد بطول 295كلم باتجاهات ثلاث، منها الى هرر، واخر لأديس ابابا، وثالث للنيل الابيض، لكنها لم تتم من الخط إلا ثلثيه، حيث نفد رأسمالها. وأن فرنسا رفضت مساعدة الشركة إلا حينما تدخلت بريطانيا، فعرضت مبلغا ماليًا على الشركة، لاستكمال ما تبقى من الخط الحديدى، فخشيت الحكومة الفرنسية من تزايد النفوذ البريطانىفى الحبشة، وتأثيره على مصالح فرنسا، فتكفلت بمعونة سنوية للشركة، على أن تعوضها فى الرسوم المؤقتة المفروضة على السلع الذاهبة لجيبوتى[17].وبطبيعة الحال لم يحدد الشيخ الحفنى بأن الوجود الفرنسفجيبوتوالبريطانفىالسودان، هو أساس هذا التنافس بين الدولتين على اثيوبيا [18]. لكنه انتهى الى اصرار فرنسا على كسب اثيوبيا الى صفها.

وقال الشيخ الحفنى بأن الإسلام قد دخل إلى الحبشة في وقت مبكر من ظهوره، وذلك حين وصل إليها الفوج الأول من المهاجرين من بعض أصحاب النبي "صلى الله عليه وسلم"، وذلك حين اشتد عليهم أذى كفار قريش، فأشار عليهم الرسول بالهجرة اليها. منتقلا للحدث حول لغة الحبشة الصعبة سواء الامهرية والتجرية والجالية والصومالية، متحدثا عن ديانة الغالبية العظمى من العيسوية القبطية المصرية، وأنها تختلف معها فى بعض طقوسها الكنائسية، وأن الموسوية، ويقصد اليهودية، عددها ربع مليون نسمة، وأن المسلمين ثلاثة ملايين وخمسمائة الف، طبقا لما ورد فى رسالة الاسلام لصاحبها محمد توفيق البكرى المندرجة فى العدد 16 من مجلة المنار. مشيرا بأن الحكم بيد 13 من الرؤس، وأنهم كانوا مستقلين بولاياتهم لدرجة ان كل واحد منهم يحسن أن يطلق عليه لقب ملك مستقل، وأن كل منهم تحته جملة مأمورين وحكام ومشايخ قرى، وهناك قضاة فى المدن. متحدثا عن العقوبات، وانها ثلاث: اقلها الضرب بالسوط، ثم الجدع بالأنف، ثم الصلم للاذن ثم التشويه للوجه ثم البتر للأطراف إذا كانت الجريمة بسيطة. أما اذا كانت الجريمة قتلا، فيسلم القاتل الى اولياء القتيل ليقتصوا منه بالقتل او الدية. ذاكرا بأن أهلها يتصفون بالشجاعة ولا يهابون الموت ولا يسأمون القتال، وأن اسلحة حديثة قد أدخلت على الجيش، واصبح تدريبه موكولا الى ضباط روسيين وفرنساويين، وأن بنادقهم القديمة هى الفتيل والقداح والكبسول، وأن فرسانهم يقاتلون بكلتا يديهم، معددًا صفات الشجاعة فيهم. مشيرا بأن حكومتها غير دستورية فلا يعرف دخلها من انفاقها إلا محافظتها على استقلالها، ومسالمة جميع الدول وخصوصا روسيا وفرنسا لها فى الفترة التى يتحدث عنها. ونقلا عن النخبة الازهرية قال بأن الحكومة المصرية احتلت شواطئها الشرقية منذ عام 1883 وأن هذه السواحل احتلها ثلاث قوى اوروبية فيما بعد هى فرنسا وايطاليا وانجلترا[19].معطيا الاخر الحبشى أكثر من حقه، فلا اريتريا كانت يوما تابعة للحبشة، وهو مجرد ادعاء، ولا الصفات البطولية كان قد اختبرها ورأهارای العين، فهو ينقل عن غيره دون تقصى لتلك المعلومات التى ينقلها احيانا.

ورغم أن تيودور حكم فى الفترة من ١٨٥٥–١٨٦٨ ويوحنا الرابع حكم فى الفترة من ١٨٦٨–١٨٨٩، فى حين حكم منليكالثانىفى الفترة من ١٨٨٩–١٩١٣[20]، إلا أن كتابات الشيخ الحفنى جاءت مميزة عنهم جميعا، ولم تشايع حتى الكتابات الحبشية التى تميز حكاما عن اخرين. وحين تحدث عن مدنها اديس ابابا العاصمة وجندر وعدوة وانكوبر عاصمة ولاية شوا، تطرق متحدثا عن منليكالثانى حاكم الحبشة وميلاده عام 1844 وانه تولى

الحكم عقب قتلى الدراويس لنجاشى الحبشة يوحنا سنة 1889، وانه حسبما بلغه من مصادره، كان شديد البطش كثير الغزو، متحدثا عن مخاطبة جميع الدول المتمدنة له بالإمبراطور. متحدثا عن اقسام الحبشة تجرى فى الشمال وعاصمته عدوة، واقليم حماسين واهله مسلمون ومسيحيون، ومشيرا بأن غالبيته مسلمون، فهذا خطا من ناحية السكان، ومن ناحية بقاءه تابعا لايطاليا. وثانيها اقليم أمهرة وبه مسيحيو الامحرة، وبه ايضا مسلمون، واقليم ولو وايفات واقليم شمزنا ودبره دامو واهلهما مسلمون، واقليم عقمى وحرمات واهلهما مسيحيون، وهكذا يعدد الاقالم ويصنف سكانها متحدثا مدن الجنوب وتصنيف اهلها المسلمون، بمعنى انه يضيف مناطق الجنوب للامهرة وهو غير ذلك. وثالثها قسم الجالا وهو فى الجنوب، ويضم عدة اقاليم. ورابعها قسم زيلع وعاصمتها قديما ايفات، وهو خطا قاتل، فلم تدخل زيلع ابدا ضمن الحكم الحبشى. ولعل اشارته وبأن اهلها يتكملون العربية وهم أحناف، وبه اقليم هدية وشرخا وبالى ودارة ومصوع وناصع ودهلك واقليم الصومال واقليم هرر وبها مناطق لم تدخل ابدا تحت الحكم الحبشى، وأن ألسنة هؤلاء تزيد عن الخمسين لسانا، يكتبون بالقلم الحبشى الذى عدد حروفه 16، لكل حرف منها سبعة فروع بجملة 102 حرفا، وانهم يكتبون من اليمين لليسار. متحدثًا عن كل القبائل التى تعيش فى اثيوبيا قبيلة قبيلة من ناحية الموقع. ولعل تعبيراته أحيانا عن شكل الملكية والحيازة لتؤكدها كتابات اخرى[21]، حين تعترف احداها بقدرة الحكام الاثيوبيين على إنشاء مسافة اجتماعية محددة بشكل صارم للحفاظ على نظام حيازة الأراضي الذي يدعالاستغلال القاسوحب السيطرة[22].

وحدد الشيخ الحفنى الآخر احصاء وديانة، حينما ذكر عدد سكانها، وبانهم حسب كتاب الجغرافيا العمومية 8 مليون و610 الف، وأن مساحتها 630 الف كلم مربع، لكنه صل بها الى ساحل البحر الاحمر شرقا والى النيل غربا، ومن بلاد التاكا وسواكن، ويتوسع بالحبشة بشكل كبير، وهو خطا كبير. متحدثا عن العلاقات الدينية المصرية والاثيوبية المسيحية، ووصل بها الى عام 1871، حينما أرسلت اليهم مصر أربعة أساقفة، جعل الملك يوحنا أحدهم، وهو بطرس رئيسا عليهم، وأن متاؤس كان أحدهم، وانه أصبح مطرانا فيما بعد، وأنه قدم الى مصر سنة 1901 وأن ملوك الحبشة واهلها يحترمون سيادة الكنيسة القبطية المصرية على الكنائس[23]. وهذا يعنى بأن الاخر الدينالمسيحالحبشى، قد كان له بمصر صلات قوية ومؤسسية به.وبطبيعة الحال كان للمطران المصربمتاؤس قصة كبيرة مع الحكم فى اثيوبيا لم تقتصر على منليكالثانى، بل امتدت حتى نهاية عشرينيات القرن العشرين[24].

وتحدث بتقدير عن ملك الملوك تيودور وما فعله بنفسه فى حملة نابير البريطانية، حينما أطلق النار على نفسه خشية تسليم نفسه للبريطانيين، متحدثًا بعدها عن يوحنا الرابع الذى جاء بعده، واصبح صديقا للبريطانيين واخضع كل ملوك الحبشة عدا ملك شوا منليك، إلى أن خضع له. مشيرا بأنه فى سنة 1875 طمحت الحكومة المصرية للاستيلاء على الحبشة، ففتحت باب الديون عليها فى عهد اسماعيل الذى وصلت املاكه الى بحيرة موتان زيجة، وتوغلت فى الأرض الواقعة على منحدر نهر الكونغو، وشغلت حاميته جميع ثغور الشواطئء الغربية للبحر الاحمر، واحتلت هرر، واحاط بهضبة الحبشة، حتى تخيل ان وقت الاستيلاء عليها قد حان، غير أن تدمير الاحباش للسريتين المصريتين اللتين ارسلتا بهذا الخصوص بقيادة اراكيل بيك وارندروب قرب مدينة جندت، كان هو القضاء المبرم على المطامع الاسماعيلية، ولم يسمها المصرية وهو هنا يتحدث بمنتهى الموضوعية،وأن هذه الحملة كانت هى الباعث لجمع العنصر الحبشى على اختلاف امياله ومشاربه، فارسل الخديوجيشا اخر فتم تدميره ايضا، فأثر ذلك على مسلمى الحبشة، فتم التضييق عليهم واجبارهم على التنصير إلى ان تولى منليك سنة 1889 السلطة. فقال بأن المطران متاؤسهو الذى رسمه امبراطورا قبل ان يصبح رئيسا للاساقفة، حيث كان بطرس موجودا، لكن وعده بانه لو رسمه سيتدخل ليأتي به رئيسا للأساقفة، ومطرانا للحبشة،وبالتالى كانت هناك مصلحة مشتركة بين الطرفين. متطرقا بعدها لمعاهدة اوتشيالى وسوء الفهم بين الطرفين، الى ان انتهى الامر بمعركة عدوة وانتصار منليك على ايطاليا بقوله، فكسرهم كسرة ظلت ايطاليا تتحدث عنها، وانه حصل على هرر مقابل تخليه عن ثلاثة مناطق شماليةلايطاليا. متحدثا عن منليك بفخر، قائلا بانه أدخل البريد والتلغراف والسكك الحديدية لبلاده، ووفر وسائل التمدن لبلاده، وأنه أخذ فى توسيعتخومها، وان علاقته ببريطانيا أكثر من غيرها. وأن فرنسا كانت تتقرب اليه لتسهيل تجارتها الى شرق افريقيا القادمة من الغرب الافريقى، ردا على مشروع طريق القاهرة الكيبالبريطانى[25].ومما سبق نلاحظ ثلاثة ملاحظات: اولها، أن الرجل تحامل على الخديو اسماعيل مقابل ثناؤه على منليك. ثانيها، أن كتاباته تعوض النقص الملاحظ على كتابات شاهد العيان ابراهيم فوزى حول الامبراطرية المصرية فى منابع النيل الاستوائية[26].ثالثها، أن سمعة ايطاليا المتردية بسبب هزيمة عدوة شاركت فى رسم صورة ايجابية حول منليك. وبعدها يبدا فى الفصل الاول وذكر الايات والاحاديث الواردة فذكر الحبش ويخرج الاحاديث وينقلها عن اصحابها نقلا، ومنها بأن نوح عليه السلام قد ولد ثلاثة سام ابوالعرب وحام ابوالحبشويافثابوالروم"[27]، الى غير ذلك من احاديث، يحاول من خلالها للوصول للمشتركات الانسانية بين العرب والاحباش.

وعلى هذا يمكن القول بأن صورة الاخر المغاير والمخالففى الدين بتلك الصورة الإيجابية، قد وضعت الشيخ الحفنفى الصنف الذى يقبل الاختلاف فى الدين والعقيدة. ولعل الخريطة الاثنية والجغرافية والدينية والذهنية التى عرضها عبر كتابه، كانت واضحة وتقول بأن الرجل قد تعامل من منظور دينىاسلامى، يعتبر الاخر اَخرا فى الدين والعقيدة والافكار والاخلاق، لكنه لا يعتبره اخرًا من الناحية الانسانية. ويمكن غمط الشيخ الحفنى على رؤيته لملامح التعايش، وتوصله الى صيغ للعلاقات الحسنة، وتجاوزه عن سوء الفهم الذى كان موجودا. فقد تمكن من خلال مؤلفه فى تحديد من هو الاخر فى الدين، كونه قد انطلق من محاولته لفهم الموقف الاخلاقى قبل تحصله على الموقف المعرفي، حيث استطاع من خلالها أن يخلق توازنا بين المصالح الدينية والمصالح الحياتية. فقد حاول الرجل صياغة خطاب اسلامى بشأن الاَخر الحبشى المخالف فى الدين، والاخر الحبشى القريب فى الدين والعقيدة والثقافة. ولم يعتبر الاختلاف عائقا فى هذا، بل اعتبره اداة للتواصل. مؤكدا على مركزية الدين للمؤمنين به، وعدم الصدام الحضارى مع الاخر المسيحى. ولعل انفتاح الشيخ الحفنى على هذا الاخر، والتواصل معه لتوسيع قاعدة المشترك بين العرب والاحباش، يساعد فى عرض حلول لاستبعاد منطق العداء. ولعل طرحه لعلاقة المسلمين بالأخر المغاير فى الدين، وهذا المغاير فى اللون لكنه شقيق فى الدين، ليقول بأهمية التعايش الحضارى معه. فدراسة الاخر من منظور اسلامى يفتح الأمر أمام احترام خصوصيات الاخر ويقرها.

العنصر الثالث– مصادر الكتاب ومنهجيته حول الآخر الحبشي:–

يتناول هذا العنصر أهم نقاط قوة الشيخ أحمد الحفنى وهى مصادره. فبعد أن يشير فى مقدمته الى الهدف من تأليف كتابه وهو البحث فى نهضة الامة الحبشية، والتعرف على رغبة الامم والملوك للتحبب لملوكها وامرائها، نراه يدخل مباشرة الى مصادره قائلا بأنه سيعتمد على ما جاء فى الكتاب والسنة والشعر والاثار وكتب المؤرخين ومعرفة اسباب هجرة الصحابة الي الحبشة، وذلك من اجل خدمة العلم وذويه. فخدمة العلم والبحث فى حياة الاحباش هما الهدف الذى من أجله ارتحل لخارج مصر بحثا عن المصادر. حيث يقول بأنه توجه خصيصا عام 1311 هجرية 1894م الى دار السعادة العلية ومركز الخلافة الاسلامية، فرأي فيها من تأليف العلماء ما قوى عزيمته، وما تبين فيها من بعض الاخطاء، مشاركة مع اسماعيل حقى امام السلطان عبدالحميد الثانى، وأنه شرع فى جمع كتب السيرة النبوية لابن هشام وكتاب أسد الغابة فى معرفة احوال الصحابة وكتاب ابن

خلدون وكتاب المقريزى عن الحبشة وكتاب الاصابة فى معرفة الصحابة،وكتابى رفع شأن الحبشان، وازهار العروش فى اخبار الحبوش للسيوطى وكتاب الشربينى الخطيب، وكتاب الطراز المنقوش بمحاسن الحبوش لابن عبدالباقى، وكتاب نهاية الايجاز فى سيرة ساكن الحجاز لرفاعة الطهطاوى، وكتاب السيرة النبوية لابن دحلان، وكتاب معاصر لحسن نصوح عنوانه التحفة النصوحيةفى احوال ممالك الكرة الارضية، وكتاب معاصر ايضا لاسماعيل بن على المصرى عنوانه النخبة الازهرية فى تخطيط الكرة الارضية، وكتب اخرى كثيرة حول السيرة النبوية وتقويم البلدان ودوائر المعارف، وكتب حول الجغرافيا لاليزاركلوالفرنساوى ومجلة الهلال لجورجى زيدان، وكتاب نحن ومنليكلهجلاروالفرنساوى سنة 1901، وغير ذلك من الكتب المعتبرة وانه استعان بترجمة بعض المخلصين للكتب الافرنجية التى استعان بها [28].فعلى سبيل المثال فإن الكتاب به كلام كثير يعتمد فيه على كتاب المقريزى[29].وعلى رحلة الحبشة للصادق المؤيد سنة 1896[30].

وبالنظر للمصادر ومنهج الرجل فى كتابته التاريخية، سنجد بأنه لم تكن هناك أزمة لدى الشيخ الحفنفى فهم النصوص التأسيسية لدور الاحباش فى التاريخ الاسلامى. ولم تكن لديه اية فجوة معرفية فى هذا الأمر، بل إن المتفحص فى كتابه من صفحة 31 والى اخر الكتاب ص 321، نجده يتحدث عما جاء في الاحاديث والاثار فى نسب الاحباش، وما انزل فيهم من آيات، ومن احاديث نبوية، وما جاء فى الشروط الكائنة فى وجوههم، والكتب المرسلة الى النبى من عندهم، والهدايا المرسلة من النبى اليهم والعكس، ومن أسلم منهم من الصحابة، والأشياء التى اتت الى العرب من عندهم، وتراجمه لبعض من قيل بنبوته منهم، ثم تعريفه بأبرز الشخصيات منهم، وعلى رأسهم بلال بن رباح، وما جاء فى حق التعارف بين النبى صلى الله وسلم والنجاشى، ثم ترجمات لبعضهم أمثال مهجه وابى بكرة وشقران وذو مخمر وذو مهدم وذو دوجن وذو مناحب وخالد بن الحوارى وخالد بن ابى رباح واسلم ويسار وهلال ووحشى وعاصم ونائل ولقيط ويسار وجعال وابرهه وايمن، وتراجمه لكثير من الصحابيات الحبشيات ومنهن ام ايمن وسعيرة وبركة وغفيرة ونبعه، وحديثه عن اسماء التابعين منهم والتابعيات، وهجرة الصحابة الي بلدهم، وترجماته لهم جميعا، وايضا اسماء الصحابيات المهاجرات الى الحبشة، وترجمات للصحابة المهاجرين للحبشة فى المرة الثانية، ثم العائدين منهم[31]، ومقارنة ذلك بكتابه قبل ص 31 عن الآخر المخالف فى الدين منهم، سنجد بأن التفريق بين التوازن أو التنافر في صورة الذات وصورة الآخريقوم على جانبين: جانب معرفي وآخر تقييمي؛ وكلا الجانبين يتشكل من خبرات الذات مع نفسها

وخبرتها مع الآخر او الآخرين. وبذلك فإن الذاتلدى الحفنتشكل الجهاز التنفيذي للشخصية،وهذا الجهاز هو الذي يتحكم في الآخر ويديّر شؤونه، وهو الذي يحفظ الاتصال بالعالم الخارجي من أجل مصالح الشخصيّة كلها، ومطالبها البعيدة. وحين ينجزالأناوظائفه التنفيذية بحكمة واعتدال يسود الانسجام والتوازن. حيث تنمو الشخصية وتفصح عن قدراتها من خلال البيئة المحيطة أو الوسط الاجتماعي، ويبرز الشعور بالأنا من خلال تلازم الذات مع الاخر. وبذلك فإن الذات الجماعية (النحن) تتحقق عن طريق المجتمع أو الأمّة فتتحول الذات من إطارها الفردي إلى الإطار الجمعي؛ أي النحن الجماعية. وهذه (النحن) ما هي إلا صورة للأنا الفردية تتحققفي إطار الجماعة التي تتشكل من مجموعة من الأفراد يشعرون بالانا.وتخضع صورة الآخر لمؤثرات إيديولوجية وسياسية وفكريةوتاريخية؛ فهي متغيّرة لا تتسم بالثبات أو النمطية، بل تتبدل حسب تلك المتقرادت. وبالتالى يمكن الاستدلال على الاخر عبر مستوىكالجنس– العرق أو عبر مستوى الدين، مسلم–غير مسلم، أو الطبقة الواحدة في المجتمع، سيد– عبد، أو حتى في المكانة السياسية، حاكمومحكوم[32].

وفيما يتعلق بالمنهج، فى كثير من الاحيان لا يلتزم الشيخ الحنفى ترتيبا زمنيا أو موضوعيا، بل احيانا يصل بالموضوع الى سنة 1903 وهو سنة كتابة المؤلف، ثم يعود بعدها ليتحدث عن اشياء حدثت قبل الميلاد او بعده [33]. لكن يلاحظ على الرجلأنه اعتمد على شهود العيان من اهل المنطقة، فيقول بأنه حسبما بلغه من مصادره. وحينما تحدث عن مناطق جنوب الحبشة يذكر كما اخبرنى بذلك كله مشافهة صاحبنا الفاضل الشيخ محمد امان الجبرتىالتجربالازهرى حفظه الله تعالى. لكنه حينما يقتبس يبدا بقال ثم يضع المصدربين قوسين، وحينما ينتهى من استشهاد يقول انتهى ناهيك عن العلامات التى يستخدمها عند بداية الجملة وعند نهايتها[34]،وبالتالى فهو كتاب علمىومنهجى يوثق فيه المؤلف كل جملة او عبارة اقتبسها او نقلها. وهو ما يعد تطويرا فى منهج علم التاريخ فى بداية القرن العشرين، فالتوثيق وذكر المصادر وكتابتها فى المتن، شكل جزءا اساسيا ورئيسيا فى منهج المؤلف وطريقته فى الكتابة التاريخية.

العنصر الرابع– أسلوب الكتاب حول الاخر وجمالياته:–

التزم الشيخ احمد الحفنى بالموضوعية الشديدة، لهذا حظى كتابه بالتقدير والاحترام. قدم فيه جملة من المعطيات تتعلق بالتسامح والحوار والروابط الانسانية، وعرض فيهلسؤال الاخر الدينى واشكالية اللونىوالثقافى. ووظف

مصادرة الغربية والشرقية والخاصة،فى تبنى مقولات جديدة ومختلفة تماما عن المقولات الغربية حول العلاقات العربية الحبشية من ناحية، والمصرية الحبشية من الناحية الاخرى، سواء فى وجهها السياسى او الدينى او الاجتماعىوالثقافى، وقسم فيها فسمين: الاخر القريب ممثلا فى الاحباش المسلمون، والاخر البعيد ممثلا فى الاحباش المسيحيين. مشيرا بأنه بالرغم من الوضعية الاجتماعية المتفوقة للمسيحيين الاحباش إلا أن هذه الوضعية لا تنتقص من دور مسلمى الحبشة بما يناقض الحديث الذى كان يردده الرحالة، مبينا فيه مازق التواصل مع الاخر .

وكان الشيخ الحفنىدائما ينقل عن مصادر موثوقة، ويضعها فى مقدمة استشهاده، متفردا فى هذا الباب عن غيره، فيقول مثلا قال فى التحفة النصوحية، او قال فى النخبة الازهرية، وقال فى تقويم المؤيد،وقال فى الجغرافيا العمومية،وقال فى دائرة المعارف.وأحيانا يقول قال المؤيد فى عدد 3844 من السنة الرابعة عشر نقلا عن صحيفة التيمس الانجليزية حول اتفاقية 15 مايو 1902 بين بريطانيا والحبشة بخصوص الحدود الفاصلة بين السودان والحبشة وارسل التصديق عليها من لندرة الى اديس ابابا فى 28 اكتوبر فى نفس السنة. وهكذا يوثق معلوماته بدقة دون ذكر لصفحات، واحيانا يذكر التاريخ الميلادى، وغالبا ما يكتب بالهجرى واحيانا يجمع بينهما.

ولما لم يعدالتاريخ تاريخا للملوك والرؤساء والحكام والنبلاء، ولم تعد الوثيقة التاريخية هي المادة الخامالتى نعيد منها بناء أحداث الماضي لكي نستعيد الذكريات في حرارتها، كما لم تعد مهمة المؤرخ هي سؤال الوثيقة عما إذا كانت تقول الحقيقة أم لابد من فحصها ورصد عناصرها ووصف العلاقات داخلها، لذا نجد قيمة كتاب الحفنى تتمثل فى تاريخ اصداره والظروف الاقليمية المواتية لإصداره وعلاقتها بمحتويات الكتاب وموضوعاته. واذا كان تاريخ الطب يكتب أحيانا من وجهة نظر المرضي لا الأطباء،وأن هناك اهتماما بتاريخ الجنود لا القادة،وبالتأريخ للشعب ليس من وجهة نظر حكامه،ولكن من وجهة نظر العامة والمهمشين والناس العاديين، وبالتألى فإن النص الذى قدمه الشيخ الحفنى لا يعد مرآة صادقة تعكس حقيقة خارجه، بقدر ما يراعى الظرف الاقليمى والتوافق بين مصر والحبشة سنة 1902. ومن ثم فان التحديات التى كانت تواجه ازمة التاريخ للاخرالحبشى لم تقتصر على كونها تحديات منهجية وفلسفية فقط، بل الى توفر مصادر ورؤى مغايرة لتاريخ الاخر الحبشفى المصادر الموجودة فى ذلك العصر أيضا.وبالتالى جاء كتاب الحفنى كإشارة الى وجود تاريخ

آخر لايمكنأن يقبل الناس عليه،قبل ان يقوم الرجل على اصدار مؤلفه. فكونه ينتقد الخديو اسماعيل فى اطماعه حول الحبشة واثرها على سخط النظام الاثيوبى على المسلمين، ويتحدث بهذه الصراحة حول تسبب الخديوفى الديون من جراء حرب الحبشة، وتوافق المطبعة الاميرية على طباعته رغم مخالفته لوجهة نظر الدولة الرسمية، ليعد هذا اضافة حقيقية للموضوعية التاريخية، وجرأة فى التناول والطرح من قبل المؤلف. فبدون هذا التاريخ للآخر تكون الصورة ناقصة او على الاقل غير مكتملة.

العنصر الخامس– تقييم مساهمة الشيخ الحفنيالقنائىحول الآخر الحبشي وأثرها:–

جاءت كتابات الشيخ أحمد الحفنىالقنائى سنة ١٩٠٣ فى البحث المشتركات بين العرب والحبش بشكل عام، سواء فىالقران الكريم أو السنة النبوية أو من خلال كتب التراث الإسلامي، لتقرب ما بين الفريقين ولا تبعدهم. بل إن ثلاثة أرباع الكتاب إنما هو بحث فى المشتركات العامة مع الاخر القريب المسلم الحبشى، من خلال إعطاء ترجمة لكثير من الشخصيات الحبشية التى دخلت الاسلام وتفاعلت مع هذا التراث. وبالتاللم تظهر على الرجل اى علامة تدلل على أنه كان يتصرف كطرف لديه صراع دينى مع الآخر المخالف له فى العقيدة والدين.

وأعتقد أن غرض الشيخ احمد الحفنى المباشر من كتابه الجواهر الحسان هو القول بإسهام الأحباش فى الحضارة العربية الإسلامية بشكل عام، لكنه يهدف بشكل غير مباشر الى القطع بأنه إذا كان المسيحيون الاحباش هم حكام اثيوبيا، فإن مسلمي الحبشة هم جزء من هويتها، وأهم فصل فىتاريخها، وأن وجودهم عبر نواحى اثيوبيا المختلفة، وانتشارهم الجغرافىفى شتى أقاليمها ومدنها وقراها، ليؤكد على أنهم هم المكون الرئيسى لسكان الحبشة والفصول المهمة من فصول هويتها الوطنية وطرف رئيسفىاحداثها التاريخية، وأنهم رابطة الوصل بين العرب والحبشة، وأنهم مثال للتعايش الدينى والقبول بحكم الآخر المخالف لهم فى الدين والعقيدة. واعتقد أن خطاب الشيخ الحفنى المعتدل تجاه الاحباش قد حل لنا كثير من اشكاليات العلاقات العربية الحبشية، والمصرية الحبشية، ويمكن اعتباره مواجهه حقيقية لإشكالية الاخر الحبشى على مستوى الفهم، ومستوى التأويل ومستوى العقل والذوق العام. لهذا فإن السؤال الذى يطرح نفسه للنقاش: هل يمكن اعتباركتاب الشيخ الحنفى موجها الى الذات المصرية والعربية؟ ام موجهاللاخرالحبشى بكافة معتقداته الدينية واختلافاته العرقية؟

من هنا، يمكننا القول كمحاولة للإجابة على السؤال السابق، بأن حضور الآَخر الحبشفى كتابات الحفنكان قائما قبل الانا المصرية او العربية، بل يمكن القول بان هذا الحضور الطاغللاخر القريب، والحضور المعتدل للاخر البعيد، قد أحدث تغيرا فى التصورات المكونة عن هذا الاخر بشكل مختلف عما كان موجودافى الادبيات السابقة عن الاحباش. حيث تواصل الرجل مع الآَخر بجملة شروط الاخوة الانسانية وقيمة الاحباش فى الحضارة الاسلامية، فكان خطابه ملتزما باللين والرفق والقبول بالتعدد والحوار. ولهذا جاء خطابه مفعما بالتواصل مع الاخر، مشيرا بأن هذا الاخر مختلف على المستوى الثقافى والمستوى الدينى، بما يؤسس عليه الأمر لحاضر يوجد عليه توافق حينها ومستقبل افضل لعلاقات بين مصر والحبشة. ويبدو ان مدخل الشيخ الحفنى مع الاخر قد جاء معتمدا على العلم بعيدا عن الفتن، جامعا فيه ما بين الادلة الشرعية فى الحديث عن الصحابة الاحباش وابنائهم والتابعين منهم، وحاشدا للأدلة العقلية فى الموضوعات الاخرى. فجاء فهم الرجل مهما فى عملية التوعية، وما يرميه من ورائها من اسقاطات على الحياة المعاصرة لفترته.

ولما كانت هناك أصوات تقلل من اسهام المصريين والعربفى الكتابة بموضوعية عن الحبشة، سواء رافضة للاخر او معترفة به، لذا يعد كتاب الحفنى نقلة نوعية فى هذا الاهتمام، خصوصا فى سياقها المعاصر لفترته. واعتقد ان اهم العوامل التى ساعدت الرجل فى الوصول لرؤيته هو الاعتراف بالاخرالحبشى، وان القران الكريم والسنة النبوية يدعمان هذا الوجودالحبشفى الحضارة العربية الاسلامية، ويؤصلان له. وانه يكفى الرجوع للكتب الاسلامية لتجد ان هذا الاعتراف هو القائم، وان التسامح هو جسر التواصل بين العرب والاحباش عموما.

هذا، وقد استخدم الشيخ الحفنى المنهج الوصفىالتاريخى، ولم يستخدم المنهج النقدىفى كتابته التاريخية. فنظر لملوكهم، وخصوصا منذ عصر تيودور ثم يوحنا، انتهاء بمنليكالثانىفى النصف الثانى من القرن 19، نظره فيها ايجابية تتمثل فىعدم الوقوف امام الاتهامات الموجهة دوما لهؤلاء الملوك، بل ركز على صفات البطولة فيهم اكثر مما انتقدهم. وبالتالى جاء تاريخه للحبش موسوعيا فى العرض، وموضوعيا فى الطرح، ومعتدلا فى التناول. فاستبعد قناعات كانت راسخة فى كتب الاحباش انفسهم عن ملوكهم، وكان منصفا لهم وخصوصا الاخر القريب الممثل فى المسلمين الاحباش. بل جاءت مظاهر الاعتراف بالاخرالدينى من عدة وجوه اجتماعية وثقافية، فرصد الاختلاف الدينىفى الداخل الحبشمن ناحية، وبين الاخر العربى والاخر الحبشى من ناحية اخرى. فجاءت نظرة الحفنى كشيخ مسلم معتدل فى الاحكام والتقييم للاخر البعيد فى المكان والزمان احيانا.

وبالتالى يمكن القول بأن الرجل تكيف مع ثقافة الاختلاف، ووضح فمنهجه ثقافة الصمود فى ظل وجود ثقافات مختلفة ومغايرة. فجاء كتابه ليدشن مرحلة جديدة تتعلق بتغطية النقص الحادث فى الوعى بثقافة الاخر، ويسد النقص فى المعرفة بالاحباش والحبشة. وبالتالى جاءت نظرة الكتاب لتخالف نظرة الغرب وتوصيفهاللأخر، باعتباره انسان الشر، وأن هذا الانسان يتحرك من واقع مأزوموهامشى ومتخلف، ليقول بان الاخر الحبشى بالنسبة للعرب عموما والمصريين خصوصا، هو قريب للانا من شتى النواحى الدينية والثقافية.

هوامش الدراسة:–

(1) فهرس مكتبة جامعة الخرطوم، https://ils.uofk.edu/cgi-bin/koha/opac-detail.pl?biblionumber=53506&shelfbrowse_itemnumber=81389

(2) عبدالسميع محمد الانيس:– حديث الصحابى الجليل جعفر بن ابى طالب رضى الله عنه مع النجاشى ملك الحبشة.. تاصيل للحوار بين المسلمين واهل الكتاب، مجلة كلية الشريعة والدراسات الاسلامية/ مجلة نصف سنوية، مج32، العدد 1، جامعة قطر، 2014.

(3) http://shiaonlinelibrary.com/%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%AA%D8%A1/%D8%A7%D9%84%D8%B5%D9%81%D8%AD%D8%A9_391%.

(4) الشيخ أحمد الحفنالقنائى الأزهري:–الجواهر الحسان فيما جاء عن الله والرسول وعلماء التاريخ في الحبشان، ط1، المطبعة الاميرية الكبرى ببولاق مصر المحمية، القاهرة، 1903، ص ص 1–4 .

(5) F.O.403-346:–PART X. FURTHER CORRESPONDENCE RESPECTING THE AFFAIRS of NORTH-EAST AFRICA AND SOUDAN,1904..

(6) الشيخ أحمد الحفنالقنائىالازهرى:–المرجع السابق، ص ص 31–320 .

(7) الشيخ جمال الدين الشامى وهاشم جمال الدين الشامى: المنهل فى تاريخ واخبار العفر(الدناكل) القاهرة،١٩٩٧, ص ٢٤.

(8) بولس مسعد: الحبشة أو اثيوبيا في منقلب من تاريخها، المطبعة العصرية، القاهرة 1935، ص ج .

(9) خير الدين الزركلي:–التراجم وسير حياة الأعلام من الناس، الجزء 8، ص 300.

(11) محمود الشرقاوي:– اثيوبيا، كتب سياسية، عدد 112، القاهرة، 1959، ص ص 30، 31.

(12) يوسف اليان سركيس:– معجم المطبوعات العربية، ج1، القاهرة في 10 فبراير سنة 1928، ص 385.

(13) يوسف اليان سركيس:– جامع التصانيف الحديثة التي طبعت في البلاد الشرقية والغربية والأمريكية، وكذلك انظر،عبد الله أفندي الأنصاري:– جامع التصانيف المصرية الحديثة، القاهرة، 1310 هجرية. .

(14) الشيخ أحمد الحفنالقنائىالازهرى:–المرجع السابق ، ص ص 6–16.

(15) سيد رجب حراز:– الأصول التاريخية للمشكلة الأريتيرية، مجلة كلية العلوم الاجتماعية، عدد 1، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – كلية العلوم الاجتماعية، السعودية،1977، ص ص متفرقات.

(16) ابراهيم على طرخان:– الإسلام و الممالك الإسلامية بالحبشة في العصور الوسطى، المجلة التاريخية المصرية، الجمعية التاريخية المصرية، مج 8، القاهرة، 1958، ص ص متفرقات. وانظر ايضا يوسف أحمد :– الإسلام في الحبشة وثائق صحيحة قيمة عن أحوال المسلمين في مملكة إثيوبيا من شروق شمس الإسلام إلى هذه الأيام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012.

(17) الشيخ أحمد الحفنالقنائىالازهرى:–المرجع السابق ، ص ص، و– س، 30 .

(18) نفسه، ص ف. .

(19) أحمد عبدالدايم محمد حسين:– مصر ومشروع بحيرة تانافى الفترة من 1904–1929.. دراسة فى وثائق الخارجية البريطانية لأحد مشروعات النيل الأزرق، المؤتمر الدولى لمركز بحوث الشرق الاوسط، حول قضايا المياه فى الشرق الاوسط.. الواقع والمستقبل، جامعة عين شمس، مارس 2019.

(20) الشيخ أحمد الحفنالقنائىالازهرى:–المرجع السابق، ص ص ش ، ت. .

(21) بولس مسعد: الحبشة أو اثيوبيا في منقلب من تاريخها، المطبعة العصرية، القاهرة 1935 .

(22) الشيخ أحمد الحفنالقنائىالازهرى:–المرجع السابق، ص ص 1، 2. .

(23) HABTAMU MENGISTIE TEGEGNE:–LAND TENURE AND AGRARIAN SOCIAL STRUCTURE IN ETHIOPIA, 1636–1900, Doctor of Philosophy in History, University of Illinois at Urbana–Champaign, 2011,pp.ii

(24) الشيخ أحمد الحفنالقنائىالازهرى:–المرجع السابق، ص ص 5، 6.

(25) أحمد عبدالدايم محمد حسين:– زيارة مطران الحبشة المصريمتاؤس إلى روسيا سنة 1902..قراءة فى وثائق الخارجية البريطانية، الملتقى الأول لباحثي القبطياتالعرب،مركز الدراسات القبطية بمكتبة الإسكندرية، يومي ١٣ و ١٤ مارس ٢٠١٦ في بيت السناري بالسيدة زينب، القاهرة، ص ص متفرقات.

(26) الشيخ أحمد الحفنالقنائىالازهرى:–المرجع السابق، ص ص 23– 27.

(27) أحمد عبدالدايم محمد حسين:– إسهامات إبراهيم فوزي باشا فى تدوين تاريخ مصر فى منابع النيل فى النصف الثانى من القرن 19، المجلة المصرية للدراسات التاريخية، العدد 54، القاهرة 2020.

(28) الشيخ أحمد الحفنالقنائىالازهرى:–المرجع السابق، ص ص 32، 33.

(29) الشيخ أحمد الحفنالقنائىالازهرى:–المرجع السابق، ص ص أ–هـ .

(30) أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (المتوفى: 845هـ) الناشر:–لإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الاسلام – مع دراسة عن القبائل العربية فى مصر ، دار الحديث، القاهرة الطبعة: الأولى، 1419 هـ عدد الأجزاء: 1، ص ص 231، 232 وغيرها من الصفحات.

(31) صادق باشا المؤيد العظم:– رحلة الى الحبشة.. من الاستانة الى اديس ابابا 1896، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2001.

(32) الشيخ أحمد الحفنالقنائىالازهرى:–المرجع السابق ، ص ص 31–320 .

(33) سعد فهد الذويخ:– صورة الآخر في الشعر العربي، عالم الكتب، الاردن، وزارة الثقافة، 2008،

(34) الشيخ أحمد الحفنالقنائىالازهرى:–المرجع السابق، ص 321.

(35) الشيخ أحمد الحفنالقنائىالازهرى:–المرجع السابق، ص ص، ط، 1، 2. .